Coptology

الكنيسة جسَّدت المسيح عبر تاريخها

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

www.coptology.org

الكنيسة جسَّدت المسيح عبر تاريخها

وصـــلتُ إلى قناعةٍ بأننا لا نريد الحوار، وأننا نتحفز لمطاردة كل من يختلف معنا في الرأي. ولكن، لدينا حقائق تُوصَـــف في الفقه الإســـلامي بما هو معلوم من الدين بالضـرورة، وهي تلك التي قام عليها الإسـلام طوال أربعة عشـر قرنًا وصـانها من أن تكون عرضةً للشك في صحتها.

ورغم أننا لا نقول أو نكتب ما هو معلوم من الدين بالضــرورة، إلَّا أننا ســجَّلنا عبر ١٩٠٠ من تاريخ أم الشـهداء، الكنيسـة القبطية الأرثوذكسـية، أن قانون الإيمان هو الحد المألوف والمعروف لكل مسيحي يعترف به عند الانضمام إلى الكنيسة، ويحيا ويموت وهو على لسانه إن كان قادرًا على النطق أثناء سكرات الموت. وطوال الـ ٤٠ سنةً الماضية لم يكن لدينا خلافٌ على قانون الإيمان.

لا رموز للمسيح

أولًا لأنه الحق المســتعلَن في التاريخ الذي لا يوجد فيه مَن يرمز له. ولم يســتطع شــخصٌ أيًّا كان أن يقول: "أنا المسـيح"، إلَّا إذا كان قد أُصـيبَ بجنون العظمة. ولكن مجمع القديسـين هو تجسـيدٌ للمسـيح؛ لحياته وتعليمه، واتحادهم بالرب نفسـه متجسِّـدًا ومصـــلوبًا وقائمًا من بين الأموات. فالحق لا رمز له لأنه ليس خفيًّا، ولا هو غامضٌ ولا هو مسـتترٌ. صـحيح أنه مسـتتر عن الحواس، ولكنه محسـوسٌ في مجمع القديسـين، وبكل يقين، مَن يمس مسـيحيًّا بالقول أو بالفعل، فهو يمس المسـيح نفسـه المتجسـد في هذا المسيحي.

ثانيًا: وكما لم يستطع شخص أن يقول أنا المسيح، هكذا ليس لأحد أن يقول "أنا الكنيسـة"، لأن الكنيسـة عمرها تجاوز ١٩٠٠ سـنة ممتدة من الرب والآباء الرسـل والشـهداء والأبرار حتى يومنا هذا، ولا يمكن لشخصٍ أيًّا كان أن يختزل هذا التاريخ بطوله

وعرضه في نفسه. وإن كان ذلك لم يمنع أننا رأينا ملامح المسيح في صحراء الإسقيط، وفي البرية الشـرقية، وعلى امتداد الوادي، وعاش بيننا بشـرٌ كان لهم الولاء والصـدق والأمانة ليسـوع الرب وعاملونا بمحبة أبوية، وكان لهم تضـحيات ظاهرة، وكانوا فرسـان الحقيقة، أو بالحري فرسان من قال: "أنا الحق".

لا بديل للمسيح

على الرغم من المحاولات العقلية لوضع بدائل للمسيح، إلَّا أن كل هذه المحاولات قد فشـلت تمامًا لأن محبة المسـيح لا يمكن أن تُحاصَـر عقليًّا، ويسـقط الحصـار أمام قوة حضور المسيح في العالم وفي حياة الذين اتحدوا به.

ولذلك، عندما يتم توظيف الادعاء بأن نقد أسـقف أو غيره ينال من المسـيح، فهذا كذبٌ وافتراء لا يجب خلطه بالملفات السـياسـية والاجتماعية، لأن الرب نفسـه هو الذي منع هذا الخلط بقوله: "مملكتي ليست من هذا العالم". فالمسيح ليس فكرةً أو نظريةً اجتماعية أو سياسية. ومحاولة الزج بالمسيح أو بالكنيسة في أي معترك سياسي هي خداعٌ واضـح يحاول به المدَّعون أن يجعلوا من وجودنا كمسـيحيين، وجودًا سـياسـيًّا خاصًّـا بنا، وإن كانوا يرونه من منظور ديني أو لاهوتي. وهو ذات الإيديولوجية التي عبَّر عنها مسلسل "الاختيار" بدقة أبرزت محاولة جماعات التكفير هدم الدولة المصـــرية. وقد طرح الحوار، وتتابع أحداث المسلسل الذي تجلت فيه براعة أطقم التمثيل والإخراج وكل من ساهم في هذا العمل الذي يرقى إلى مستوى عالمي، سؤال تحول الدين إلى تشـكيل عسـكري يعلِّم بكراهية الآخر للدرجة التي يصبح معها قتله حلالًا من الحلال. وهو موقفٌ لا يختلف عن موقف الأسـقف الذي وصـف الدارسـين بأنهم فئران، وأنه أخذ على عاتقه عودة الفئران إلى جحورها. وكان واجبًا على هذا الأسـقف أن يعتذر كمسـيحي أخطأ في حق اخوته، إلَّا أنه أبى لأسبابٍ لا داعي لذكرها.

لا شـك أن الإيمان والعقيدة هما سـبب وجود الطقس أو الممارسـات، ولدينا في

التاريخ –وهو العامود والمرجعية التي يهرب منها المشاغبون– الكثير من الوقائع التي بدَّلت فيها الكنيسة طقسًا بطقس تبعًا لاحتياجات الكنيسة في عصر من العصور. لذلك فإني أرى أن الإصرار على التمسك بطقسٍ معيَّنٍ –ثبت خطورته على صحة المؤمنين وغيرهم– ليس إلَّا نوعًا من ممارسة سلطان كهنوتي زائف لا علاقة له بالمسيح. ومن التاريخ نعرف أن بطاركةً ماتوا بالسُّم لمحاولتهم تغيير بعض العوائد السائدة في المجتمع، فالبابا يؤنس الـ ١٥ وضعوا له السُّمَ في الأباركة لما حاول منع التسري، وتناول البابا السُّمَ ومات.

الشكل السياسي

لا خلاف بيننا على محاولات جماعات التكفير هدم الدولة المصرية، ولذلك ضايقني صمت الأقباط على محاولة اعتبار الأنبا رافائيل ممثلًا للكنيسة، وأنه فوق النقد أو المساءلة الطبية أو القانونية، حال كونه ضد تغيير ممارسةٍ تقود حتمًا إلى المرض والموت، وبالتالي يجب إبطالها. واعتبار أن ما نُشِر في روز اليوسف هو نيلٌ من الكنيسة، ليس إلَّا زجًّا بالكنيسة في معترك سياسي معقد لا يجب أن يوظَّف للنيل من سيادة الدولة المصرية، لأن النيل من هذه السيادة هو ذات هدف جماعات التكفير.

لذلك لا يجب أن يدَّعي شخصٌ أنه هو الكنيسة، وأنه يمثلها بحيث لا يسمح للدولة أن تمارس سلطانها القانوني والتشريعي، بل والعسكري أيضًا.

رَحِمَ الله كل من أدرك أنه يناقش حقائق، مدركًا أن الحقَ واحدٌ، هو الذي قال "أنا هو الحق".

دكتور

جورج حبيب بباوي